The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 1, Issue 1, May 2022
ISSN: 2948-3778

أهمية الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله

The Importance of
Motivating and Intimidating in Calling towards Allah

عبدالرشيد عيديد صومالى

باحث بمرحلة الدكتوراه، قسم التفسير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

jaare16@icloud.com

ABSTRACT

Al-targhib (motivation) refers to all means of motivating the invitee to respond positively, accept the Truth, and exercise steadfastness upon it; whereas al-tarhib (intimidation) refers to all means of frightening and warning him of the consequences of rejecting the Truth, or not being steadfast on the Truth after accepting it. The importance of this method can be derived clearly from the fact that it is one of the most important objectives of the Qur'an. The Quran achieves this by reminding people of their Sustainer and of the benefits (of steadfastness on the Truth) in this world and the next, alongside warning them of what may bring them misery and undesired consequences. The Prophet صلى الله عليه وسلم also used this method as the most important mean of da'wah ever since Allah charged him with the propagation of Islam. Likewise, all previous Prophets used the same method for calling towards Islam. The method is in harmony with human nature because humans are attracted to things which they hope would benefit them sooner or later. Moreover, this methodology corresponds to the basic principle of gradation in calling towards Allah. Furthermore, the combination of motivation and intimidation, i.e. the combination of hope and fear, is the utmost quality of the slaves of Allah. Accordingly, Allah the Almighty has made fear of His punishment and hope for His Mercy two causes that enable hearts to benefit from the exhortation and accept the guidance of the Qur'an.

The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 1, Issue 1, May 2022
ISSN: 2948-3778

أهمية الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا حسنا. والصلاة والسلام على خير من أُرسِل إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الأخيار، الذين عبدوا الله رغبا ورهبا، ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنّته إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنّ الله عزّ وجلّ عليم بشؤون خلقه، خبير بمصالح عباده، أنزل كتابه المجيد وفقا لما تقتضيه مصالحهم في الدارين، فخاطب به العقول والمشاعر، قاصدا بذلك مواقع التأثير في الإنسان، إذ البشر مجبولون على حب المنافع العاجلة والآجلة، والحرص على اجتلابها، ومطبوعون على كره المضارّ في الحال والمآل، والاجتهاد في دفعها. فهو كتاب تربية وتهذيب، وقانون وأحكام، وتفكّر واعتبار، أنزله الله لسعادة البشرية جمعاء، كي يخرجها من ظلمات الجهل والكفر والضلال إلى نور العلم والهدى والإيمان.

وفي هذا العصر، الذي اضطرمت فيه نار المادّية، واستشرى داء النفعيّة، وازدحمت على الإنسان مشاغل الحياة، ومتطلّبات المعيشة، واستولى على النفوس حبّ الدنيا، والحرص على وسائل الترفيه، ومن ثمّ صار الإنسان أسير شهواته، ورهن حاجياته، وكمالياته، فلا يفكّر إلا فيما يراه نافعا له في العاجل، ولا يعمل إلا فيما يرجو فائدته في الحال، في هذا العصر اشتدّت الحاجة إلى طرق موضوع الترغيب والترهيب، الذي يقصد به تذكير النفوس بالمنافع الدنيوية والأخروية، والتحذير من المضارّ العاجلة والآجلة من خلال بيان ما وعد الله على عمل الخير من الثواب والأجر الجزيل، وما أوعد على عمل الشرّ من النكال والعقاب الشديد، كما في قوله تعالى: **(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)**[1].

والتوجيه الأخروي هو السمة البارزة في منهج القرآن الكريم في الترغيب والترهيب، من غير أن يكون محصورا عليه، بل يشمل في الوقت ذاته الترغيب في المنافع العاجلة، التي تترتّب على العمل بالخير، والترهيب من المضارّ الآنيّة، التي تكون نتيجة العمل بالشرّ. كما في قوله تعالى: **(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)**[2]. وقوله تعالى: **(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)**[3].

والانتفاع بهذا المسلك القرآني، والتأثّر بهذا المنهج الربّاني يتطلّب إيمانا بالغيب، ويقينا بالموعود، فمن لا يؤمن إلا بما يراه من المشاهد الكونية، والمناظر الدنيوية، والتجارب المحسوسة لا ينجع فيه هذا المنهج، ولا يتأثّر بالوعد والوعيد. ومن هنا خصّ الله سبحانه المؤمنين بالذكرى، والانتفاع بالقرآن المجيد. كما في قوله: **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ**

(1) سورة النجم: 31

(2) سورة هود: 3

(3) سورة فصلت: 13

مَا هُوَ شِـفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَـارًا)[1]. وقوله تعالى: **(كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)**[2].

ومن هنا كان منهج الترغيب والترهيب في القرآن وسيلة للتأثير في وجدان الإنسان، حتى يثير فيه مشاعر الطمع والخوف، فيترتّب على ذلك تربيته على الأخلاق الفاضلة، وتهذيبه من الأخلاق السيئة؛ ليعيش حياة طيبة في هذه الدنيا، يكون أساسها الإيمان والعمل الصالح، وتقديم مرضاة الله على شهوات النفس واتباع الهوى، وبالتالي يفوز بنعيم الجنّة ورضوان الله تعالى، والنجاة من عقابه وغضبه في الآخرة.

ولقد اهتمّ علماء التفسير وعلوم القرآن بإبراز وجوه الترغيب والترهيب في القرآن، غير أنّها مبثوثة في ثنايا الشروح المطوَّلة، وفي تضاعيف المسائل المتعدِّدة، التي اشتمل عليها التنزيل، ولم يفردوا لها ببحوث خاصة، وتأليفات مستقلّة. والجدير بالذكر أنّ علماء التفسير وعلوم القرآن أعطوا لهذا المنهج نصيبا وافرا من حديثهم عنه في ثنايا كتبهم، وإبراز أهميته ومكانته في الدعوة والتبليغ، فالإمام ابن كثير يقول: "وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: **(إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)**[3] ... والآيات في هذا كثيرة جدًا"[4]. ويرى الإمام أبو السعود أن أسلوب الترغيب والترهيب طريقة سنيّة في الدعوة والتبشير، فيقول: "من السُنة السنيّة القرآنية شفْعُ الوعدِ بالوعيد، والجمعُ بين الترغيب والترهيب، إيفاءً لحق الدعوة بالتبشير والإنذار"[5]. وجعله الزركشي أحد أقسام علوم القرآن الثلاثة، فقال: "وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد: تدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير: ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام: ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب"[6]. وذكر الشيخ الطاهر ابن عاشور في معرض حديثه حول المقاصد الأصلية التي نزل لتبيانها القرآن، وعدّ منها الترغيب والترهيب، فقال: "المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب"[7]. وهكذا ديدن علماء التفسير والقرآن في النظر إلى أهمية الترغيب والترهيب وأنه جزء أصيل من أساليب الدعوة وتبليغ الرسالة.

---

(1) سورة الإسراء: 82

(2) سورة الأعراف: 2

(3) سورة الأنعام: 165

(4) تفسير ابن كثير: 357/3، المسمى بـ " تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ط: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م. تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

(5) تفسير أبي السعود: 2 /209، واسمه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(6) البرهان في علوم القرآن:17/1، لبدر الدين الزركشي، ط:1، دار إحياء الكتب العربية، 1376 هـ - 1957م. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(7) التحرير والتنوير: 1/ 39، واسمه الكامل: "«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط: الدار التونسية للنشر – تونس،1984م.

واهتمّ أيضا علماء الحديث بجانب التربية والتزكية في مؤلّفاتهم الحديثية، فنجدهم في الغالب يعقدون كتاب الرقاق في جوامعهم، قاصدين بذلك إيراد الأحاديث التي ترقّق القلوب، وتوجّه الناس إلى الله والدار الآخرة، وتحذّرهم من محبّة الدنيا والانجرار وراء المعاصي والشهوات. كما أنّ بعضهم ألّف مصنفات[1] مستقلّة تجمع الأحاديث المتعلقة بالترغيب والترهيب بين مختصر ومطول هادفين إلى تربية الأمة وإصلاحها عن طريق تنمية الوازع الديني في الرغبة والرهبة. وبهذا كانوا أسبق من علماء التفسير كما يبدو لي في إفراد هذا المنهج بالتأليف والعناية المستقلّة.

ومعظم الآيات القرآنية تفيد الترغيب أو الترهيب بشكل مباشر أو غير مباشر. فتارة تدلّ على ذلك بعبارة واضحة، تحثّ على عمل خير مع بيان فضائله، أو تزجر عن عمل شرّ مع ذكر مساوئه. وتارة تفيد ذلك بإشارة بعيدة أو قريبة. وذلك أنّ القرآن أنزل لهداية البشرية، من خلال الإيمان بالغيب، فالأحكام العملية في الغالب مصدّرة بخطاب المؤمنين بوصف الإيمان، ومختومة ببعض أسماء الله، التي فيها إشارة إلى الترغيب، أو الترهيب. والقصص والأمثال الواردة في القرآن مقصودها الاعتبار، والادّكار، اللذين هما بعض مسالك الترغيب والترهيب.

ومن هنا حاولت إبراز أهمية الترغيب والترهيب في مجال الدعوة والتربية، حيث أنّه من أهم أساليبها، وأنجع وسائلها. وهذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: بيان معنى الترغيب لغة واصطلاحا

الترغيب لغة: الترغيب مصدر للفعل الرباعي المزيد بتضعيف العين، وأصله الفعل الثلاثي المجرد: رَغِبَ. ولهذه المادة (الراء والغين والباء) معنيان:

الأول: الإرادة والطلب والحرص على الشيء، ويأتي على وزن (فَعِلَ) بكسر العين، فيقال: "رَغِبَ في الشيءِ رَغْباً ورَغْبةً ورَغْبَى على قياس سَكْرَى ورَغَباً بالتحريك: أَراده فهو راغِبٌ"[2]. وهذا المعنى يضطرد إذا كان الفعل متعدّيا بحرف الجرّ "في". وأما إذا كان الفعل متعديا بحرف الجرّ "إلي" فيكون بمعنى السؤال والضراعة[3]، كما ورد في التنزيل: "**وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**[4] " أي "بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إسعافك لا غيره"[5]. وإذا كان متعديا بحرف الجرّ "عن" فيدلّ على عدم الإرادة للشئي وتركه عمدا والزهد فيه[6].

---

(1) ومن أشهر الكتب الحديثية، التي أُلِّفت في هذا الموضوع على وجه الاستقلال: الترغيب: لأبي الحسن التميمي، نضر بن شميل البصري، ت: 204هـ. والترغيب والترهيب لابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي. ت: 248هـ. والترغيب والترهيب: لقوام السنة، أبي القاسم: إسماعيل بن محمد الأصبهاني. ت: 535هـ. والترغيب والترهيب: للحافظ محمد بن أبي بكر، أبو موسى المديني، الأصبهاني. ت: 581هـ. والترغيب والترهيب: للحافظ، زكي الدين، أبي محمد: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. ت: 656هـ. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 401/1، لحاجي خليفة، ط: مكتبة المثنى – بغداد، 1941م.

(2) لسان العرب: 423/1، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: الثالثة، دار صادر – بيروت، 1414هـ.

(3) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس 508/2، لمرتضى الزَّبيدي، الناشر دار الهداية.

(4) سورة الشرح: 8

(5) تفسير أبي السعود: 173/9.

(6) انظر تاج العروس: 508/2

الثاني: السعة والكثرة. ويأتي على وزن: (فَعُلَ) بضم العين، فيقال: رَغُبَ رُغْباً ورُغُباً ورَغَابة: اتسع وعظم فهو رغيب وهي رغيبة، ورُغْب البطن: كثرة الأكل[1]. ويقال في العطاء الكثير: **رَغِيبَة**[2]، وللرجل الواسع الجوف الكثير الأكل: **رَغِيبٌ**، وكذا الوادي الواسع، الكثير الأخذ للماء، ويقال أيضا للحوض الواسع وللسقاء: رغيب. ويقال للطريق الواسع: **رَغِبٌ**، ويقال: **تراغب** المكان إذا اتسع وكل ما اتسع فقد رَغُبَ[3].

وجعل الإمام الراغب الأصفهاني الأصل في معنى الرغبة: السعة في الشيء، كما جعل دلالة الرغبة على الطلب والإرادة مأخوذا من المعنى الأصلي الذي هو السعة، وفي هذا يقول: "أصل الرغبة السعة في الشئ، يقال رَغُب الشئ اتسع وحوض رغيب، وفلان رغيب الجوف وفرس رغيب العدو .والرغبة والرَغَبُ والرَغْبى: السعة في الإرادة قال تعالى: **(وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا)**[4]، فإذا قيل رَغِبَ فيه وإليه يقتضى الحرص عليه، قال تعالى: "**إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**"[5] وإذا قيل رَغِب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، نحو قوله تعالى: **(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ)**[6]، **(أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي)**[7] والرغيبة العطاء الكثير، إما لكونه مرغوبا فيه فتكون مشتقة من الرغبة، وإما لسعته فتكون مشتقة من الرغبة بالأصل"[8].

أمّا الإمام أحمد ابن فارس، فجعل مادّة رغب تدلّ على المعنين بطريق الأصالة، وفي هذا يقول: "الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلبٌ لشيء والآخر سَعَةٌ في شيء. فالأوَّل الرَّغْبة في الشيء: الإرادةُ له. رغِبْتُ في الشيء. فإذا لم تُرِدْه قلتَ رغِبتُ عنه. ويقال من الرّغبة: رَغِب يرغَبُ رَغْباً ورُغْبا ورَغْبَةً ورَغْبَى مثل شكوى. والآخر الشَّيْءُ الرَّغيب: الواسع الجَوف. يقال حوضٌ رغيب، وسقاءٌ رغيب. ويقال فرسٌ رغيب الشَّحْوة. والرَّغِيبة: العَطاء الكثير"[9]. ويبدو أنّ هذا هو الأقرب للصواب، حيث أنّ الصيغة: رَغِبَ بكسر العين وردت بمعنى الإرادة والطلب، كما أن الصيغة:

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور: 423/1، وانظر أيضا: المعجم الوسيط: 356/1، المؤلفون: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ط: دار الدعوة بتحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة.

(2) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية: 137/1، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط: الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت، 1407 هـ – 1987م.

(3) انظر: لسان العرب لابن منظور: 423/1 وما بعدها.

(4) سورة الأنبياء: 90

(5) سورة التوبة: 59

(6) سورة البقرة: 120

(7) سورة مريم: 46

(8) المفردات في غريب القرآن: 262/1-263، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط: الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، 1412 هـ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي.

(9) معجم مقاييس اللغة: 2/ 415-416، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط: دار الفكر، 1399هـ – 1979م. بتحقيق عبد السلام هارون.

رَغُبَ بضم العين وردت بمعنى السعة والكثرة، والله أعلم، كما يقول الإمام الجوهري: "رَغِبْتُ في الشئ، إذا أردتَه، رغبةً ورَغَباً بالتحريك"[1]. ويقول الإمام ابن منظور: "رَغُبَ رُغْباً ورُغُباً: وكلّ ما اتّسع فَقَدِ رَغُبَ رُغْباً"[2].

والترغيب من باب التفعيل مصدر للفعل الرباعي، المزيد بالتضعيف. والتضعيف والهمزة في الغالب يجعلان الفعل اللازم متعديا[3]، فيكون معناه: أوجد الرغبة في غيره، فجعله يَرْغَب في الشئ. كما يقول ابن منظور: "وأَرْغَبَنِي في الشَّيءِ ورغَّبَنِي بمعنًى ورَغَّبَه أَعْطاه ما رَغِبَ"[4]. وفي تاج العروس: "وأرغب في الشيء غيره ورَغَّب إليه ورغَّبَه ترغيبا: أعطاه ما رغب"[5]، والمشهور في الاستعمال التفعيل أي: الترغيب، دون الإفعال، أي: الإرغاب.

الترغيب اصطلاحا:

هو الأسلوب الدعويّ، المشتمل على موعودات آجلة، أو عاجلة، تشوّق المدعوين إلى القيام بعمل ما ابتغاء وجه الله. قال الأستاذ عبد الكريم الزيدان: "نقصد بالترغيب: كل ما يشوّق المدعوّ الى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[6]. وقال الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي في التعريف به: "وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة ... خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله"[7] الشارع الحكيم خبير بكوامن النفس البشرية في حرصها دائما على المنافع العاجلة والآجلة، واجتهادها في السعي على تحصيل المطالب المرغوبة، فاستعمل هذا الأسلوب لتحريض الإنسان على الأعمال الصالحة، التي تتيح له الفوز في الحياة الدنيا، وتحلّ مشاكله المتنوعة فيها، كما تؤدّي إلى الراحة الأبدية، والنعيم المقيم في الحياة الأخروية، مبيّنا في كتابه العزيز تفاصيل النتائج المترتّبة على تلك الأعمال في العاجل، والآجل.

وقال أبو الوليد الباجي في إيضـــاح معنى الترغيب: "معنى الترغيب في الجهاد الإعلام بعظيم ثوابه وجزيل أجره ليرغب الناس فيه. وأكثر ما يوصف بالرغائب ما قصر عن رتبة الوجوب؛ لأن العمل إنما يوصف بأتم أحواله، إلا أنه لم يقصـــد ههنا للوصـــف له بوجوب ولا غيره، وإنما قصـــد الحض على فعله بالإخبار عن جزيل ثوابه"[8]. وأساليب الترغيب وأنواعها كثيرة في نصوص القرآن الكريم، سأذكر طرفا منها في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(1) صحاح الجوهري: 137/1

(2) لسان العرب لابن منظور: 424/1

(3) انظر: المفتاح في الصرف، ص: 49، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، الجرجاني، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

(4) لسان العرب: 1/ 422

(5) تاج العروس: 509/2

(6) أصول الدعوة، ص: 437، لعبد الكريم زيدان، ط: التاسعة، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م.

(7) أصول التربية الإسلامية، ص: 230، لعبد الرحمن النحلاوي، ط: الخامسة والعشرون، دار الفكر- بيروت، 1428هـ-2007م.

(8) المنتقى شرح الموطأ: 159/3، لأبي الوليد الباجي، ط: الأولى، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، 1332 هـ.

المبحث الثاني: بيان معنى الترهيب لغة واصطلاحا

الترهيب لغة:

الترهيب لغة: هو مصدر للفعل الرباعي، المزيد بالتضعيف "رَهَّبَ"، والذي كان أصله الثلاثي: "رَهِبَ"، كعلم وفرح. ولهذه المادة (الراء والهاء والباء) أصلان[1]:

أحدهما: يدلّ على مخافة مع تحرّز واضطراب، كما قال تعالى: **(وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**[2]) أي فخافون. يقال: رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورَهْباً ورُهْباً ورَهَباً بالتَّحْرِيكِ، أَي: خاف. ورَهِبَهُ رَهْباً: خافه. والاسْمُ: الرُّهْبُ بالضم، والرَّهْبَى بالفَتْحِ ويُضَمُّ، ويمدّان أي الرَهْبَاء والرُهْبَاء[3]. ويظهر من سياق اللغويين لمعنى الثلاثي المجرّد من هذا الفعل أنّه يرد تارة على اللزوم من غير احتياج إلى مفعول به، فيقال: رَهِبَ فلان، أي: خاف، وتارة يتعدّى إلى مفعول به، فيقال: رَهِبَه، أي: خاف غيره. ويقال عند زيادة الفعل ببعض الزيادات: "أَرْهَبَهُ واسْتَرْهَبَهُ: أخافه، وتَرَهَّبَهُ: توعّده"[4]. ويقال: " تَرَهَّبَ الرّجل إذا صار رَاهِباً يخشى الله تعالى"[5].

والثاني: يدلّ على الدقّة والخفّة[6]، فالرَهْب: الناقة المهزولة جدا، وكذا الضامر من الإبل، كما يقال للسهم الرقيق: رَهْب، والرَّهَابة كالسحابة: عظم صغير في الصدر مشرف على البطن[7]. والمعنى الأول هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي للترهيب.

والتَرْهِيب: مصدر قياسيّ من: رَهَّب ترهيبا، وهذه الصيغة لم أجدها – حسب اطلاعي– في معظم كتب اللغويين القدامى للدّلالة على التخويف، وإنّما وجدتها تأتي لمعنى لازم كما أثر من قول العرب: "رَهَّبَ الجمل: نهض ثم برك من ضعف بصلبه"[8]. وكذا قولهم: "رَهَّبَت ناقة فلان، فقعد عليها يحابيها[9]: أي جهدها السير فعلفها، وأحسن إليها حتى ثابت إليها نفسها"[10]. وأما دلالتها على معني التخويف والتفزيع فقد جاءت في إحدى القراءات العشر لقوله تعالى: **(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)**[11].كما قرأ بذلك رويس عن يعقوب، وكفى بها حجّة. وفي هذا

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس 2/ 447

(2) البقرة: 40

(3) انظر: مفردات الراغب: 367/1، وتاج العروس من جواهر القاموس: 2/ 537

(4) القاموس المحيط: 192/1، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1426هـ–2005 م.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس: 2/ 538

(6) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس 2/ 447

(7) انظر: المصدر السابق: 2/ 538– 539

(8) تاج العروس من جواهر القاموس: 2/ 538

(9) من حايا الصبيّ: غَذَّاه، وحايا فلانا: بعث فيه الحياة. انظر: المعجم الوسيط 213/1

(10) تهذيب اللغة: 157/6، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م. تحقيق: محمد عوض مرعب.

(11) سورة الأنفال: 60

يقول الإمام الأزهري: "قرأ يعقوب: تُرَهِّبُونَ، بفتح الراء وتشديد الهاء، وقرأ الباقون: تُرْهِبُونَ بسكون الراء"، ثم قال: "المعنى واحد في تُرَهِّبُونَ وتُرْهِبُونَ"(1). وقد أورد ابن منظور صيغة الترهيب، الدّالة على التخويف في لسان العرب، قائلا: "وأَرْهَبه ورَهَّبه واسْتَرْهَبَه: أخافه وفزّعه"(2). والجدير بالذكر أنّ معظم اللغويين أوردوا صيغتي الإرهاب، والاسترهاب فقط، للدّلالة على الإخافة والتفزيع. كما جاء في صحاح الجوهري: "أَرْهَبَه واسْتَرْهَبَه، إذا أخافه"(3)، وتاج العروس: "وأَرْهَبَهُ واسْتَرْهَبَه؛ أَخَافَهُ وفَزَّعَهُ"(4)، وعلى هذا فالترهيب مصدر ثابت قياسا ولغة؛ للدلالة على تخويف الغير، وإيصال الرهبة إلى قلبه، والله أعلم.

الترهيب اصطلاحا:

هو إيصال الرهبة في قلوب السامعين عن طريق ذكر الوعيد والتهديد بعقوبة تترتّب على اقتراف ذنب، أو تفريط في فريضة، أوعن طريق ذكر صفات العظمة الإلهية، وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الكريم زيدان: "كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(5). وقال الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي أيضا: "وعيد، وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي"(6).

ولما كان الإنسان مجبولا على كراهية مايضرّه في العاجل والآجل استعمل الباري جلّ وعلا سوط التخويف والترهيب في محكم تنزيله ليقوّم اعوجاج الإنسان، ويحذّره من مزالق الهلاك، حتى يبتعد عن انتهاك الحرمات خوفا من العقاب والنكال، فصار هذا الأسلوب مع مقابله الترغيب من أنجع وسائل الدعوة للنفس البشرية عبر التاريخ وسير الأنبياء والمصلحين.

المبحث الثالث: بيان أهمية مبدأ الترغيب والترهيب

لا تخفى أهمية الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وتربية المجتمع على الخير والفضيلة. فلقد استهدف القرآن الكريم في خطابه الدعويّ النفس البشرية التي جبلت على حبّ الخير، والحرص على اجتلابه وتحصيله، إلى جانب كراهية الشرّ، والاجتهاد على دفعه والتوقّي منه، قصدا منه لإصلاحها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة،

(1) معاني القراءات: 443/1، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ط: الأولى، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1412هـ – 1991م. وانظر كذلك: النشر في القراءات العشر 277/2، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ط: المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، التحقيق: علي محمد الضباع.

(2) لسان العرب 1/ 436

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1/ 140

(4) تاج العروس من جواهر القاموس: 2/ 538

(5) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: 437

(6) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوي، ص: 231

وتزكيتها من الأخلاق الذميمة، ودلالتها على الحقّ، والثبات عليه. ومن هنا نجد القرآن الكريم مشحونا بهذا الأسلوب في جميع سوره وآياته، كما أنّ السنّة النبوية زاخرة بالأحاديث المفيدة للترغيب والترهيب. ولما نزل القرآن المجيد لهداية البشرية جمعاء، فلا عجب أن كان هذا الأسلوب هو المرجَّح على غيره من الأساليب، إذ هو العلاج المستمرّ لأمراض الإنسان، يستخدم عند أول وهلة في دعوته إلى الإسلام، ويستمرّ معه في حياته كلِّها، للترقي به إلى المراتب العليّة، والدرجات السنيّة من مقامات الإيمان. وقد تتابعت الرسل عليهم الصلام والسلام في الاهتمام بهذا الأسلوب في دعوة أقوامهم إلى الله مبشرين ومنذرين؛ إذ القرآن الكريم حافل بتاريخ جهودهم الدعوية، ومعالجتهم لأقوامهم في التقويم والإصلاح، والهداية والإرشاد. وتظهر أهمية هذا الأسلوب مفصّلة في النقاط التالية:

أولا: إنّ هذا الأسلوب من أهمّ مقاصد نزول القرآن، إذ كان من أعظم مهامّه التي نزل من أجل تحقيقها تذكير الناس بربِّهم، وبمصالحهم الدينية والدنيوية، إلى جانب إنذارهم وتحذيرهم مما يسبِّب لهم الشقاء وسوء العاقبة، حتى إذا تأثّرت قلوبهم، وتذكّروا أسرعوا إلى العمل بما يكفل لهم الفلاح والفوز في الدارين، وتجنّبوا ما يسبّب لهم الغبن والخسار في الدنيا والآخرة. وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)**[1]. يقول الشيخ السعدي: "فالقرآن مشتمل على البشارة والنذارة، وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة، وهو الإيمان والعمل الصالح، والتي تستحقّ بها النذارة وهو ضدّ ذلك"[2]. وقال تعالى أيضا: **(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)**[3]. ومعنى الآية: أنّ الله سبحانه وتعالى يسّر ألفاظ القرآن ومعانيه، ليحصل المقصود منه والانتفاع به، حتى يبشّر النبيّ صلى الله عليه وسلم المتّقين بترغيبهم في الثواب العاجل والآجل، وينذر الأشدّاء في الباطل من أهل الكفر والإجرام بتحذيرهم من عاقبة تماديهم في الباطل من الجزاء السيّء في الدنيا والآخرة[4].

ولاشتمال القرآن على التذكرة العامة للعباد أوجه متعدِّدة، كما يقول الإمام ابن القيم: "... فإنه يذكِّر العباد بمصالحهم في معاشهم ومعادهم، ويذكِّرهم بالمبدأ والمعاد، ويذكِّرهم بالرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده، ويذكِّرهم بالخير ليقصدوه وبالشر ليجتنبوه، ويذكِّرهم بنفوسهم وأحوالها وآفاتها وما تكمل به، ويذكِّرهم بعدوِّهم وما يريد منهم، وبماذا يحترزون من كيده، ومن أيّ الأبواب والطرق يأتي إليهم، ... ويذكِّرهم بأسه وشدّة بطشه وانتقامه ممن عصى أمره وكذب رسله، ويذكِّرهم بثوابه وعقابه"[5].

ومن أهمّ العلوم التي حواها القرآن الكريم علم التذكير، الذي هو الترغيب والترهيب، كما يقول الإمام أبوبكر بن العربي: "وأما علوم القرآن فثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق

(1) سورة الإسراء: 9-10

(2) تفسير السعدي: 454

(3) سورة مريم: 97

(4) انظر: تفسير السعدي: 312

(5) التبيان في أقسام القرآن، ص: 128- 129، لابن قيم الجوزية، ط: دار المعرفة – بيروت، لبنان، تحقيق: محمد حامد الفقي.

بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير: منه الوعد والوعيد والجنّة والنار وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام منها: التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أمّ القرآن؛ لأنّ فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه؛ لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة، وهو التوحيد"[1].

ثانيا: ومما يظهر أهمية الترغيب والترهيب أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم استخدمه، كأهمّ وسيلة من وسائل الدعوة منذ أمره الله بالتبليغ عند بزوغ فجر الإسلام، فلم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي سلطة على الناس ليذعنوا للإسلام غير وسيلة الترغيب والترهيب، كما يقول ابن قيم: "أوَّل ما أوحى إليه ربُّه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسمِ ربه الذى خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ فى نفسه، ولم يأمرْه إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ"[2] فنبأه بقوله: اقْرَأْ، وأرسله بـ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، ثم أمره أن يُنذِرَ عشيرتَه الأقربِينَ، ثم أنذر قومَه، ثم أنذرَ مَنْ حَوْلَهُم مِن العرب، ثم أنذر العربَ قاطبة، ثم أنذر العالَمِين، فأقام بِضْعَ عشرة سنة بعد نبوته يُنْذِرُ بالدعوة بغير قتال ولا جِزية، ويُؤمر بالكفِّ والصبرِ والصَّفح"[3].

ومن القصص التي توضّح مواقفه الدعوية مع قريش في استخدام الإنذار والترهيب ما رواه الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)**[4] صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي:**"يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ"** لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: **"أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ"** قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ: **"فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"** فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)**[5]»[6].

هذا في الترهيب، وفي الترغيب نمثّل بقصة أخرى وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم في مسيرته الدعوية الأولى، كما يرويها طارق المحاربي، رضي الله عنه، حيث يقول: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهُ بِالْحِجَارَةِ قَدْ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 37/4، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م.
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(2) سورة المدثر: 1-2

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد: 143/3، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، ط: السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت، 1415هـ - 1994م.

(4) سورة الشعراء: 214

(5) سورة المسد: 1-2

(6) أخرجه البخاري في صحيحه: 111/6، (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط: الأولى، دار طوق النجاة، 1422هـ)، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين.

أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ"[1].

وقد ذكر الله عز وجل في غير آية وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالبشارة والنذارة، مما يدّل على أهميتهما في الدعوة إلى الله، وتبليغ دينه. ومن ذلك قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)**[2]. يقول ابن عاشور: "والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث المسرّ لمن يخبر به، والوعد بالعطية، والنبي صلى الله عليه وسلم مبشِّر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم ... والنذير: مشتق من الإنذار وهو الإخبار بحلول حادث مسيء أو قرب حلوله، والنبي عليه الصلاة والسلام منذر للذين يخالفون عن دينه من كافرين به ومن أهل العصيان بمتفاوت مؤاخذتهم على عملهم"[3].

ثالثا: يعتبر أسلوب الترغيب والترهيب أساسا لدعوة الرسل عليهم السلام. وكما سبق أن بيّنت أهمية هذا الأسلوب في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنّ الله تعالى أرسل الرسل مبشِّرين ومنذرين، فلم يبعث رسول إلا وكان مبشِّرا لقومه ومنذرا لهم، وكانوا مجتهدين في إصلاح البشرية ودلالتهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: **(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**[4]. أي "بالترغيب والترهيب"[5]. فأخبر الله تعالى في هذه الآية عن غرض إرسال الرسل، وأنّها الدعوة إليه بالبشارة والنذارة، مؤكّدا على ذلك بأسلوب الحصر والاختصاص، فكأنّهم لا عمل لهم غير التبشير والإنذار. وهذا يؤكّد دور أسلوب الترغيب والترهيب وأهميته في دعوة الأنبياء والرسل.

رابعا: أنّ الترغيب والترهيب موافق للجبلّة الإنسانية، والطبيعة البشريّة، فالمرء دوما مجبول على الطمع فيما يرجو نفعه في العاجل أو الآجل، كما أنّه مطبوع على الكره لما يتوقّع مضرّته في الحال أو المآل. ومن هنا تظهر أهمية الترغيب والترهيب، حيث إنّ الإنسان بوسيلة الترغيب يتشجّع إلى عمل الخير النافع له في الدنيا والآخرة، كما أنّه بوسيلة الترهيب ينزجر عن عمل الشرّ، الذي يؤدّي به إلى الهلاك والخسارة، خاصّة إذا كان المدعوّ مؤمنا بموادّ هذا الترغيب أو الترهيب، ومن ثمّ يجزم بصدق الوعد والوعيد، فحينئذ يؤتي الترغيب والترهيب ثماره.

ولما كان الباري جل وعلا خبيرا بكوامن النفوس البشرية، وخفايا الصدور الإنسانية، وهمسات الخوطر، التي تجول في فؤاد الإنسان استخدم هذا الأسلوب في كتابه المجيد، فرغّب ورهّب، قاصدا بذلك إصلاح النفوس البشرية، وتقويم اعوجاجها، وتزكيتها من رواسب الجاهلية، ورذائل الشهوات، وأدران الشبهات، كما قال: **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ**

---

(1) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: 82/1، (أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، ط: المكتب الإسلامي – بيروت. تحقيق: محمد مصطفي الأعظمي)، كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الكعبين اللذين أمر المتوضئ بغسل الرجلين إليهما العظمان الناتئان في جانبي القدم. وقال الأعظمي: إسناده صحيح.

(2) سورة الأحزاب: 45-46

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور: 22/ 53

(4) سورة الأنعام: 48

(5) تفسير القرطبي 429/6، المسمى بـ "الجامع لأحكام القرآن" محمد بن أحمد القرطبي، ط: الثانية، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964 م.

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير)[1]. وفي هذا يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي: "بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم، والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير. ويشترك الحيوان مع الإنسان في أدنى درجات هذه الرغبة والرهبة، فجميع الكائنات الحية تقريبا، تبتعد عما يؤذيها حال شعورها به، وتقبل على ما يلذها، ويحقق استمرار الحياة لها أو لجنسها"[2]. فغريزة حبّ الخير، وسجيّة كراهية الشر متأصلة في فطرة الإنسان، إلا أنّ البشر غافلون عن المنافع الأخروية ومضارّها؛ إذ أنّها غائبة عن مبلغ علمهم، وآثارها لم تصل إليها رؤيتهم، وقد أخّر الله موعدها إلى أجل مسمى.

خامسا: ومما يزيد من أهمية وسيلة الترغيب والترهيب تناسبه مع مبدأ التدرّج في الدعوة إلى الله تعالى، حيث أنّ الإنسان في بداية تقبّله للدعوة يحتاج إلى التعاهد المستمرّ، والتلطّف الدؤوب في توجيه الأوامر والنواهي إليه، فإنّه المخلع للتوّ من ربقة الجاهلية، التي نشأ عليها، وغُذِّي بألبانها منذ نعومة أظفاره، ومن ثمّ فإنّ آثارها لا تنمحي عن النفس أول وهلة، وأوضارها لا تزول عن القلب بكل سهولة. ومن هنا يستدعي الأمر في البداية إلى حكمة ورويّة، وهدوء وتلطّف إلى حين يشتدّ عود الإيمان، ويستقيم اعوجاج الأخلاق، وتنفطم النفس عن الشهوات. وعلى هذا فالترغيب والترهيب عامل مساعد في السير بالمدعوّ على سلّم التدرّج إلى حين الوصول به إلى الكمال والتمام، ولا يمكن الوصول إلى هذا الكمال إلا بتهيئة النفوس أوّلا، وتوطينها على الأمر والنهي من خلال التشويق والترغيب إلى المنافع والمصالح العاجلة والآجلة أو التحذير والترهيب من المضار والمهالك التي تترتب من تضييع الأوامر وارتكاب المناهي.

وممّا يؤكّد على ذلك استقراء السور والآيات التي نزلت في العهد المكي، حيث كان عهد المؤمنين بالجاهلية قريبا، وانفصالهم عن الشرك بات وشيكا، فكانت الوسلية إلى الإقرار بالتوحيد والرسالة ذكر الجنة والنار، والرحمة والعذاب، والثواب والجزاء، وسير الأمم السابقة مع أنبيائهم وما حصل لهم في الدنيا من النكال والعقاب أو الرحمة والإنجاء. ويلاحظ في هذه الفترة أنّ الأحكام العملية لم تنزل حتى ترسّخ الإيمان في قلوب المؤمنين عن طريق آيات الترغيب والترهيب. وإلى ذلك أشارت عائشة رضي الله عنها فيما يري عنها البخاري بسنده عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكٍ قَالَ: **«إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ قَالَتْ وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ قَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ قَالَتْ لِمَ قَالَ لَعَلِّي أُوَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ قَالَتْ وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ**[3] **النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ**

(1) سور الملك: 14

(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوي، ص: 230

(3) ثاب يثوب إذا رجع. النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 226، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ط: المكتبة العلمية –بيروت، 1399هـ-1979م.

وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)[1]. **وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ قَالَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ»**[2]. ويقرّر مبدأ التدرّج بالترغيب والترهيب الإمام ابن حجر في شرحه للحديث، فقال: "أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل وأنّ أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام ولهذا قالت ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف"[3]

ومن هنا، فقد كثر في القرآن الذي نزل بمكة سياق آيات الترغيب والترهيب؛ إذ كانت هذه المرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية بمثابة الأساس للبناء الشاهق الذي سيبنى عليه لاحقا، ممّا اقتضى تقوية الإيمان، الذي يمثّل ذلك الأساس من خلال الترغيب والترهيب، ليكون الدافع القويّ إلى امتثال الأوامر، والاجتناب عن النواهي. ومن ثمّ نزل القرآن الكريم منجَّما على مقتضى النوازل والأحوال، فلو نزل جملة واحدة كما طلبه بعض المشركين[4] لاستصعب الناس العمل بأحكامه، والتأدّب بآدابه، كما قال تعالى: **(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)**[5]. ومما سبق شرحه يتبيّن أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله وتبليغ هذا الدين، حيث يسهّل للمدعوّ تقبّل أحكام الإسلام بيسر وسهولة، والله أعلم.

سادسا: إنّ خلط الرغبة بالرهبة، والجمع بين الخوف والرجاء من أكمل صفات عباد الرحمن[6]. فالأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم قد اتّصفوا بعبوديّة الرغبة والرهبة، كما مدحهم ربّهم عزّ وجلّ في كتابه العزيز، فقال: **(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**[7]. ويقول الإمام الطبري في بيان معنى الآية: "ويعنى بقوله: رَغَبا، أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله. وَرَهَبا، يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته[8]. وقد كان السلف من هذه الأمّة يتواصون بمزج الرغبة بالرهبة في نصائحهم العامة والخاصة، فعن عبد الله بن عُكَيم أنّه قال: "خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، فإن الله عز وجل، أثنى على زكريا، وأهل بيته، فقال: **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا**

(1) سورة القمر: 46

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن: 185/6

(3) فتح الباري لابن حجر 40/9

(4) إشارة إلى قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)، سورة الفرقان: 32

(5) سورة الإسراء: 106

(6) انظر: منهج السلف في الوعظ، ص: 288، لأبي يزيد سليمان بن صفية، ط: الأولى، مكتبة دار المنهاج، الرياض – السعودية، 1431هـ.

(7) سورة الأنبياء: 90

(8) تفسير الطبري: 521/18

رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ[1]"[2]. وهذا إن دلّ على شيء فيدّل على أهمية الترغيب والترهيب، اللذين من آثارهما ونتائجهما الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، وبهما تتحقّق عبودية المرء لله تعالى، واتصافه بصفات المقربين، وهما مطيّتان يسير عليهما العبد في طريقه إلى الله، كما يقول الإمام الغزالي: "فإنّ الرجاء والخوف جناحان، بهما يطير المقرّبون إلى كل مقام محمود، ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كلّ عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن، وروح الجنان، مع كونه بعيد الأرجاء، ثقيل الأعباء، محفوفا بمكاره القلوب، ومشاقّ الجوارح والأعضاء إلا أزمّة الرجاء. ولا يصدّ عن نار الجحيم، والعذاب الأليم، مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات، وعجائب اللذات إلا سياط التخويف، وسطوات التعنيف"[3]. واتّضح بهذا أهمية الترغيب والترهيب، وأنّ الداعية حريّ بأن يستثمر هذا الأسلوب في إصلاح النفوس، واستقامة سيرها على الطريق إلى الله، وشحذ همم المدعوين، حذراً أن يملّوا من طول الطريق، ويصابوا بالكلل والتعب والفتور.

سابعا: ومن أعظم ما يدلّ على أهمية الترغيب والترهيب أنّ الله عزّ وجلّ جعل الخوف من وعيده وسخطه وعقابه، والرجاء لرحمته وعفوه وإحسانه سببان لانتفاع القلوب بالموعظة، وتأثّرها بهداية القرآن. فمهما اشتدّ خوف العبد وعظم رجاؤه استتبع ذلك تأثّر قلبه بالموعظة، ونشطت جوارحه في العمل بمقتضاها، كما يقول ابن القيم: "وأما تذكر الوعد والوعيد فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه، ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به، وخافه ورجاه، قال الله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ)**[4]. وقال: **(سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى)**[5]. وقال: **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا)**[6]. وأصرح من ذلك قوله تعالى: **(فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)**[7]. فالإيمان بالوعد والوعيد، وذكره: شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر"[8].

ومن خلال ما سردت من النقاط المتقدمة تبيّن أهمية الترغيب والترهيب، ومقامه في هذا الدين، وأنّه مبدأ أساسي استخدمه الرسل في دعوتهم، والصالحون في نصائحهم، والدعاة في تعاهدهم للمدعوّين حال التدرّج بهم في سلّم الأولويّات، كما أنّ آثاره من الخوف والرجاء من أعظم مقامات السالكين، وهما سببان لانتفاع العبد بالموعظة، وتأثره بالنصيحة. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهو حسبي، ونعم الوكيل.

---

(1) سورة الأنبياء: 90

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب الزهد وقصر الأمل: 162/13، لأحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ط: الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، 1423 هـ - 2003 م. التحقيق والتخريج: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد.

(3) إحياء علوم الدين: 142/4، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ط: دار المعرفة – بيروت.

(4) سورة هود: 103

(5) سورة الأعلى: 10

(6) سورة النازعات: 45

(7) سورة ق: 45

(8) مدارج السالكين: 446/1، واسمه الكامل: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، ط: الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416 هـ - 1996م. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.